بسم الله الرحمن الرحيم

دعوى تأليه المسيح ... وإبطالها

بقلم

دكتور / محمد محمد يحيى

مدرس الدعوة والثقافة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

واحد في ذاته ، متفرد بصفاته فانفرد بالالوهية ، واختص بكل صفات الكمال والجلال لا اله الا هو ، لا شريك له ، ولا ضد له ، ولا ند له . تعالي عن افك المبطلين ، وتقدس عن شرك المشركين ، واباطيل الملحدين ، كذب العادلون به سواه ، وضلوا ضلالا بعيدا ، وخسروا خسرانا مبينا " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالي عما يشركون "(١)

واشهد ان لا اله الا الله وحده ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي لا نبي بعده اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلي أله وصحبه آمين .

اما بعد

فقد خلق الله الخلق وفطرهم علي معرفته وتوحيده ، ولم يكلهم الي عقولهم وحدها في التعرف عليه ، وانما ارسل اليهم الرسل ليأخذوا بأيديهم الي الطريق المستقيم ، ويرشدوهم الي ما فطروا عليه من معرفته وتوحيده .

ولقد بدأت الاسرة الانسانية من لدن أدم - عليه السلام - مسيرتها علي التوحيد المطلق لله رب العالمين ترجمة وتحقيقا للفطرة التي فطر الله الناس عليها وأخبر عنها بقوله " واذا أخذ ربك من بني أدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علي أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ... "(٢) الايات

١- سورة المؤمنون آيه (٩١ . ٩٢).

٢- سورة الاعراف آيه (١٧٢)

واستمرت البشرية علي التوحيد ردحا من الزمن دون اختلال ، ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهم وتطرق الانحراف الي الاسرة الواحدة حين فرح الانسان بعلمه واستقل بعقله ، وبعد عن ربه ، ومال الي الشيطان .

فبعد ان تكونت الامة علي التوحيد بدأ الشقاق والانحراف يتطرقان الي الاسرة الانسانية وقد سجل القرآن الكريم ذلك حيث قال الحق سبحانه " وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما هم فيه يختلفون "[١]

فتوالت الرسالات السماوية وأنزل الله الكتب والصحف لتعيد الانسانية الي فطرتها وكان عيسي " عليه السلام – واحدا من هؤلاء المصطفين الاخيار الذين كلفوا بتبليغ دعوة التوحيد الي الناس وعودتهم الي فطرتهم ، شأن من سبقه من المرسلين – الذين دعوا الي التوحيد المطلق لله والايمان به وتفرده بالالوهية وتنزيهه عن الشركاء – وقد جاءت رسالته استجابة لمقتضيات اقتضت اصلاحا وعلاجا لما انحدرت اليه الاوضاع في العصر السابق عليها ، ومن ثم جاءت لتصحيح المسار الديني بعد ان لحقت المجتمع اليهودي أفات شملت نواحي الحياة الدينية منها ، وغير الدينية

ولم يكن " عيس " عليه السلام خارجا بدعوته عما جاءت به رسالات السماء السابقة ، وأنما جاءت تصديقا لها معلنة الدعوة الي توحيد الذات والايمان بها وتفردها بالالوهية والعبادة كما هو ظاهر من نصوص القرآن الكريم حيث قال عيس " عليه السلام – لبني اسرائيل " يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوارة..[٢] ويدعوهم الي التوحيد " اعبدو الله ربي وربكم [٣]، ويبين لهم عاقبة الشرك" إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار...[٤].

١- سورة يونس آيه (١٩)

٢- سورة الصف آيه (٦).

٣-سورة المائدة آيه (٧٢) راجع أيه (١١٧) حيث قال « ماقلت لهم الا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم»

٤- سورة المائدة آيه (٧٢).

وقد آمن بدعوته الحواريون، واعلنوا ذلك صراحة إذ قالوا لعيسى- عليه السلام- كما أخبر القرآن"....آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون"[١] " قالوا أمنا واشهد بأننا مسلمون"[٢] وقد جاءت نصوص الانجيل الصحيحة معلنة ذلك صراحة أيضا فقد جاء فيها قول السيد المسيح لأحد حواريه فى أول وصاياه... الرب الهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل نفسك، ومن كل قدرتك..."[٣]

وجاء فى انجيل « متى » قول عيسى- عليه السلام- للشيطان: إذهب عنى ياشيطان لانه مكتوب للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد[٤]

وأما عن تصديقه للرسالات السابقة الداعية إلى التوحيد نجد قول المسيح عليه السلام- لتلاميذه(لا تظنوا انى اتيت لأحل الناموس والانبياء- إنى لم أت لأجل، لكن لأتمم»[٥] وقد ظل (عليه السلام) ينشر دعوته مبينا لبنى اسرائل التوحيد الخالص لله ويقول لهم مبتهلا « ان الحياة الابدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقيى وحدك والذى أرسلت يسوع المسيح[٦] إلى غير ذلك من النصوص الصريحة التى تشهد بأن المسيح- عليه السلام- دعا الى عبادة الله وحده ولم يدع أحداً أبدا إلى عبادة نفسه.

وقد ترسخت دعوة التوحيد فى حياته، وظل الحواريون مؤمنين بها، وبعد رفعه حدثت أحداث، وتغيرت أمور، ونزل بالمسيحية وأصحابها مانزل، وحلّ بها ما حل من الاضطهادات، والكوارث التى كان لها الاثر الكبير فى الانحراف عن الدعوة الحق التى دعا اليها « عيسى »- عليه السلام- فبد لها الحواريون إلى نحلة جديدة هى « عودة المسيح وكونه ربا الهاً ولفقوا فى أعمال الرسل- الاصحاح الثانى عشر قولهم» سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح انه لم يترك نفسه فى الهاوية، ولا رأى جسده فسادا، فيسوع هذا أقامة الله ونحن جميعا شهود ذلك"[٧]

١- سورة أل عمران آيه (٥٢)
٢- سورة المائدة أيه (١١١)
٣- انجيل مرقس الاصحاح الثانى عشر
٤- انجيل متى الاصحاح الرابع
٥- انجيل متى ١٧/٥
٦- انجيل يوحنا ٣/١٧
٧- أعمال الرسل ٢/٣١

وجاء (فليعلم يقينا جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذى صليتموه أنتم ربا ومسيحا..."[١]

ثم نقل بولس هذه النحلة إلى نحلة ناسخة لما جاء في اليهودية، ووضع تفسيرات جديدة لفكرة البعث، وحلول مملكة الله، والختان والصلب... ثم جاءت المجامع ، وانقسام الكنائس فورث التاريخ المسيحى عديدا من العقائد التى لايمكن جمعها، ولا يمكن الربط بينها... وكان من جملة عقائدهم تأليه المسيح ،أو جعله إلها.

فهل هى حقيقه أم خرافة؟

اولا. عقيدة تأليه المسيح وأهم أسبابها

مما سبق بيانه من دعوة المسيح – عليه السلام- صراحة إلى توحيد الله سبحانه وعبادته وتنزيهه عن الشركاء، وشهادته على نفسه أنه عبد رسول وانه مثل غيره فى العبودية والحاجة والفاقة إلى الله تعالى، وانه لم يقل أبدا إنه إله أو ابن اله على معنى التوالد أو غيره وكثيرا ما كان يقول لهم:« إني لم أجئ لأعمل بمشيئة نفسى ولكن بمشيئة من أرسلنى)(لست أدين العباد بأعملهم، ولا أحاسبهم باعمالهم، ولكن الذى أرسلنى هو الذى يلى ذلك منهم)(يارب قد علموا انك قد ارسلتنى وقد ذكرت لهم اسمك).

واخبرهم أن الله ربه وانه عبده ورسوله حيث قال (ان الله الواحد رب كل شيئ أرسل من أرسل من البشر إلى جميع العالم ليقبلوا إلى الحق.... ما أبعدنى واتعبنى أن احدثت شيئا من قبل نفسى، ولكن اتكلم واجيب بما علمنى ربى... إن الله مسحنى وأرسلنى وانا عبد الله، وانما أ عبد الله الواحد إلى يوم الخلاص...)[٢]

١- أعمال الرسل ٢/٣٦

٢- حول هذا راجع هداية الحيارى / ابن قيم الجوزية ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

وبالرغم من هذه الدعوة الصريحة الواضحة إلى عباده الله وحده الا أن النصارى
ا دعوة المسيح، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه، ونسوا حظاً مماذكروا به. فجعلوا
عقائدهم بأهوائهم ألوهية المسيح، فأغرى الله بينهم العداوه والبغضاء. فمنهم من
قده إلها ومنهم من اعتقده ابن الاله، وهم على اختلاف أنواعهم يعتقدون ذلك سواء
ثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت.

وقد ادعوا زورا وبهتانا أن من تعاليم المسيح- عليه السلام- ان الله واحد فى
ة أقانيم هى- الاب، الابن، والروح القدس، وان هذه الأقانيم الالهية طبيعة واحده،
ت جوهر واحد، فكل ماينسب إلى أحدهم من صفات اللاهوت الكاملة ينسب للأخر
ى واحد ، وعظمة واحدة.

والسيد المسيح - عليه السلام- هو الأقنوم الثانى من الثلوث الأقدس، وهو
ا للأب والروح القدس فى كل الصفات الالهيه.

والروح القدس الأقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس وهو مساوللأب ، والابن فى
والجوهر والطبع، وكل فضل اللاهوت، وهو روح الله، وحياة الكون، ومصدر
مة والبركة ولذلك فهو يستحق العبادة الألهية والمحبة والاكرام والثقة مع الاب
بن .

واذا كانت هذه هى عقيدة طائفة الارثوذكس فهى بذاتها عقيده الكاثوليك مع
ن الفوارق حيث تقول طائفة الكاثوليك بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد أحدهما
تيه والأخرى ناسوتية، وان الروح القدس منبثق من الأب والابن معا، وذلك هو
ى ماتدعيه طائفه البروتستانت[١]

فهم جميعا يهدفون إلى نتيجة واحده هى الخروج بالمسيح عن نطاق البشرية...

حول هذا راجع يأهل الكتاب تعالوا . أ.د / رؤف شلبى ص ٢٥٦ - ٢٦٢.

وانه إله أو ابن إله[١] وراحوا يسوقون الأسباب حول هذه الدعوى المزعومة ليغرسوا هذه العقيدة في نفوس المدعوين فتصير عقيده لايمكن الانفكاك عنها وقد كان لهم ماأرادوه، ومن أهم الأسباب التى ركنوا إليها في دعواهم تأليه المسيح- عليه السلام- مايلي:

أولا : إنه خلق علي غير السنة العامة في خلق البشر حيث ولد من عذراء من غير نطفة رجل، ويفترون على الله الكذب بقولهم- انه سبحانه نزل عن كرسى عظمته وعرشه ودخل في فرج مريم... فالتحم ببطنها، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين بول ودم وطمث.. وانه - تعالى عن إفكهم- اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء، لما ولدت الاعن وطء الرجال لها، ولكنها اختصت عن النساء بانها حبلت بابن الله، وولدت ابنه الذى لاابن له في الحقيقة غيره، ولا وآلد له سواه،.. ثم يتحدثون عن نشأته بقولهم

١- ولعل الأمانة المثلثه- التقرير الذى هم عليه اليوم والتى يعد أصلا عند جميع طوائفهم لايتم لأ منهم نصرانيه إلا به- توضح ذلك جيدا فقد جاء فيها (تؤمن بالله الأب الواحد خالق مايرى وما لايرى ، والرب الواحد اليسوع ابن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع، اله حق من اله حق من جوهر ابيه الذى بيده اتقنت العوالم، وخلق كل شيئ الذى من اجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول، وحبلت به مريم البتول وولدته، وأخذ وصلب وقتل أيام فيلاطس الرومى، ومات ودفن ، وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجئ تاره أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بالرب الواحد روح القدس روح الحق الذى يخرج من روح صحبيته، وبمعموديه واحده لغفران الخطايا...) فصرحوا فيها بأن المسيح رب وانه ابن الله، وانه بكره ليس له ولد غيره، وانه ليس بمصنوع- أى عبد مخلوق بل هو رب خالق ، وانه مساء لأبيه في الجوهر وبيده اتقنت العوالم.... وهم يقولون في صلواتهم ومناجاتهم (انت أيها المسيح اليسوع تحينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم اجسادنا وتبعثنا وتجازينا...) إلى غير ذلك مما ادعوه زورا وبهتانا.

حول هذا راجع هداية الحيارى ابن قيم الجوزية ص١٤٣-١٤٤ مؤسسة مكه للطباعة والاعلام.

الكاذب:- بعدما التحم ببطنها وأقام تسعة أشهر خرج إلى القماط والسرير كلما بكى ألقمته أمه ثديها، ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان، ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه، وصفعهم قفاه، وبصقهم في وجهه ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه ، والقصبه في يده استخفافاً به ، وانتهاكاً لحرمته، ثم قربوه من مركب خص بالبلاء، راكبه فشدوا عليه وربطوه بالحبال، وسمروا يديه ورجليه وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد، وألم الصلب، هذا هو الذي خلق السماوات والارض وقسم الارزاق، والأجال، ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن اعداءه من نفسه لينالوا منه مانالوا، فيستحقوا بذلك العذاب ، والسجن في الجحيم ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن ابليس - فإن روح آدم ، وابراهيم، ونوح، وسائر النبين عندهم كانت في سجن ابليس في النار- حتى خلصها من سجنه بتمكينه اعداءه من صلبه.

وأن مريم الآن جالسة على يسار الرب تبارك وتعالى، وآلدابنها، وابنها عن يمينه، ويدعون إلى مريم ويسألوتها: ياوالدة الاله اشفعي لنا- وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة والانبياء، حتى أن طائفة اليعقوبية، منهم يقولون في مناجاتهم لها (يامريم ياوالدة الاله كوني لنا سورا وسندا وزخرا وركنا)[١].

وهكذا يعتقد هؤلاء أن الله سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده وتخطاها كما يخطي الرجل المرأة، وهم يفصحون بذلك ، وإليه يشيرون، ويقولون : من لم يكن وآلدا يكون عقيما والعقم آفه وعيب- تعالى الله عن إفكهم علوا كبيرا.

ثانياً - إنه عليه السلام أتى بأفعال غريبة خارجة عن نطاق البشر وهي لاتصدر عن عامتهم فقد كان يخلق من الطين طيراً، ويحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص

١- المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٤٠.

ويخبرهم بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم.... وهذه الأفعال لايفعلها الا إله خالق، أو على الأقل ابن للإله، وآخذوا يبالغون فى هذا الامر حتى ابعدوا هذه الأفعال عن حقيقتها من كونها معجزة أيده الله بها إلى انها أمور فعلها يسوع بقدرته وحده، وقد جاء فى أناجيلهم شيئا من ذلك ، فمثلا نجد فى الجيل «متى» (وإذا أبرص قد جاء وسجد له وقال: ياسيد ان اردت تقدر أن تطهرنى، فمدّ يسوع يده، ولمسه قائلا أريد فأطهر، والوقت طهر. فقال له يسوع: انظر الا تقول لأحد)[١]

ويدعون آن المسيح- عليه السلام- خول لتلاميذه أن يأتوا بالمعجزات ، ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت (المزعوم) وصعوده إلى السماء ، بل وآورث كنيسته تلك القدرة ايضا[٢]

هذه هى أهم الأسباب التى استندوا إليها فى دعواهم تأليه المسيح، والتى بسببها استحق الألوهيه فهو إله خالق أو ابن إله على الأقل فى نظرهم لأن من يكون شأنه كذلك لابد أن يكون إلها أو ذات قرابه كبري للاله كأبنه..

لكن هل ستبقى حقيقة « عيسى» عليه السلام غامضة تتنازعها أهواء هؤلاء بالباطل، وهل ستبقى عقيدة التوحيد فى مجامع الكنيسة المنشقة مثل لعبة شد الحبل؟ وهل ادعائهم ألوهية المسيح حقيقة أم خرافة؟

١- ونلاحظ في هذا النص المفترى أن عيسى- عليه السلام- رضى بالسجود له- وهو مارفضه من قبل فى دعوته للتوحيد(مكتوب للرب الهك تسجد) ،كما نلاحظ أيضا فى وصية عيسى- عليه السلام- للمريض (الايقول لأحد) علما بأن المعجزة انما جاءت لبيان التصديق به فمقتضاها ذيوع خبرها وانتشارها لان ذلك فى صالح دعوته.

٢- المسيحية أ.د/ أحمد شلبى ص ٤١.

الرد على عقيدة تأليه المسيح -عليه السلام-

فى الحقيقة إن هذه العقيدة المزعومة والتى أرسى قواعدها هؤلاء عقيدة وآهيه باطله والنفوس العاقلة المتبصرة لاترضاها فضلا عن اعتناقها فهى عقيدة تحمل فى طيها عوامل هدمها سواء من العقل أم من النقل، ولعل من أهم مظاهر بطلانها مايلى.

أولا تكذيب المسيح- عليه السلام- نفسه دعوى ربوبيته وإلهيته وتصريحه بأنه بشر،فقد ورد صريحا فى الاناجيل دعوة المسيح- عليه السلام- إلى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه عن الشركاء، وماهو الاعبد مربوب لله مخلوق، وانه بشر مثلهم فهو مشترك معهم في العبودية و الحاجة والفاقة إلى الله تعالى، وانه ليس إلا رسول من الله لخلقه كما أرسل الانبياء مثله.

فمن التوحيد الخالص كانت بداية دعوته- عليه السلام- وكثيرا ماكان يقول لبنى اسرائيل (الرب الهنا رب واحد..) « بالحق قلت الله واحد وليس آخر سواه[١] إلى غير ذلك من النصوص، كما كان يخبرهم بأنه مرسل من قبل الله جاء لهدايتهم إلى عبادة الله وحده المستحق للعبادة، ويقول(وهذه هى الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته) ويؤكدلهم(إننى لم آت من نفسى بل هو أرسلنى)[٢].

وهو علي السلام – لاينسى دفع وهم الألوهية عنه فيقرر انسانيته بصورة لاتقبل الشك حيث يقرر كما جاء فى انجيل يوحنا(وانا انسان قد كلمكم الذى سمعه بالحق من الله)[٣].

١- انجيل مرقس اصحاح ١/٢٨، ٣٢

٢- انجيل لوقا اصحاح ١٤ عدد ٢.

٣- انجيل يوحنا اصحاح ٨/ ٤٠.

ويشير من خلال مايرويه (متى) فى انجيله إلى تصديقه لما بين يديه من التوره فى الجوهر العقدى ، وتكميله التشريعى فيقول :(لاتظنوا انى جئت لانقض الناموس أو الانبياء، ماجئت لانقض بل لأكمل، فإن الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والارض لايزول حرف واحد أو نقطة واحده من الناموس..)(١)

ويشير بقدوم النبى الخاتم(محمد صلى الله عليه وسلم) فيقول(إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الاب- سأصلى للأب- فيعطيكم معزيا- برقليط- آخر ليمكث معكم إلى الابد...)(٢).

أو ليست هذه هى نصوص اناجيلهم التى يعتقدون بها، فإذا كانت نصوصها تدعو صراحه إلى هذا كله توحيد لله- وكون عيسى بشرا رسولا شأنه شأن من أرسلوا قبله، وقد جاء مصدقا لما بين يديه من التوراه ومبشرا برسول يأتى من بعده يظل معهم وشرعته باقية إلى الابد وهو خاتم الرسل، وانه برقليط- أو معزى - أو بركليتس- وهو من له (حمد كثير) اسمه مشتق من الحمد فهو أحمد.

فإذا كانت نصوص الاناجيل هكذا صريحة فى هذا المضمار فكيف يدعون خلاف ذلك من تأليه المسيح- وعموم المسيحية وختمها للرسالات؟

لابد من أحد أمرين اما تصديق المسيح فى دعوته الصريحة إلى توحيد الله وتنزيه وكونه عليه السلام- رسولا شأن غيره من الرسل، وإما انهم حرفوا الكلم ويدلوه من بعد مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به، فاصبحت متناقضه لايعتمد عليها فيلزم من ذلك تكذيبهم فيما حرفوه ووضعوه بايديهم، وويل لهم مما كتبت ايديهم- ويرجع إلى الاصل الذى جعله الله محفوظا حجة عليهم- والذى جاء به عيسى- عليه السلام- من

١- انجيل (متى) اصحاح ١٥/عدد ١٧

٢- انجيل يوحنا ١اصحاح ١٤/ ١٥، ١٦، ١٧.

توحيد لله سبحانه وتفرده بالعباده وتنزيهه عن الشركاء.

وأما ماورد فى الاناجيل من قول المسيح (أبى الذى أرسلت- أو أبى الذى فى السماء) وغير ذلك فإن اضافة هذه الأبوه وردت فى هذه الاناجيل ايضا إلى اتباعه مضافة اليه واليهم مثل (يا ابانا الذى فى السماء)و(أبى وابيكم الذى فى السماء).

فلو كان مايدعيه النصارى من ألوهية المسيح مستندا إلى قوله هذا، للزم أن يكون الله - سبحانه- أباً لغيره منهم بناء على ماورد من اضافة هذه الابوه إلى أتباعه وإلا فيجب حمل مثل هذه العبارات على المجاز وإنه يراد بها الرعاية والرحمة ولاسيما وأن كلمه (الآب) [1] التى وردت على لسان المسيح تعنى (الله) باللغة السريانية وهى اللغة الارميه التى كان يتكلم بها عيسى (عليه السلام) والمعنى الدقيق لها فى السريانية(الله الموجد لكافة الموجودات وخالقها وفاطرها... وكلها صفات للذات الالهيه) وقد أطلق على الله (لفظ الآب) ولم يطلق عليه لفظ الوالد، وإذا كان معنى كلمة (الآب) ذلك فلا اشكال وعليه فقوله (أبى وابيكم) أى الهى والهكم.

أما لو كانت تعنى الابوه الحقيقية كما يزعمون فهذا يدعوا ايضا إلى تناقض نصوص الاناجيل التى تدعو إلى توحيد الله وتنزيه عن الشركاء والصاحبة والولد.

ثانياً:- تكذيب علمائهم المنصفين دعوى تأليه المسيح (عليه السلام) وابطالها فقد انطق الله ألسنه المعاصرين من اللاهوتين وعلمائهم بالحق الذى لامريه فيه فشهدوا بأن عيسى- عليه السلام- ليس إلها وإنما هو بشر اختاره الله وأرسله ليدعو إلى عبادة الله وحده.

ولقد نشرت مجلة(تايمز Times) الانجليزية فى عددها الصادر فى ٢٢ من

١- بالمد فى ألفها الثانية (الآب).

فبراير ١٩٧٩[1] في صفحة رقم ٤٤ مقالا بعنوان (جدل حديث عن إلهيه المسيح) ومماجاء في هذا المقال بعد ترجمته إلى العربية.

« إن الاعتقاد بان المسيح عيسى هو إله حقا وبشر حقا ظل الاعتقاد والاساسى للعقيدة الرسمية للكاثوليك لأكثر من خمسة عشر قرنا، ولكن في السنوات العشر الأخيرة ظهرت آراء لبعض اللاهوتين تتعارض مع هذا الاعتقاد وتتهم الديانه الرسمية بالجمود، وانها بالغت في تأكيد إلهية المسيح لدرجة انها سلبته بشريته، ومن هؤلاء العلماء اللاهوتين مايلى :

أ- في المانيا -« هانز كينج »- استاذ اللاهوت الالماني في جامعة (يفوبنج) بالمانيا يقول : إن العقيدة المسيحية كما عبر عنها مجلس (نيس) ٣٨١م تحتاج إلى فهم وتأويل جديد، والعقيدة التي يشير إليها هي التي تقول « ان عيسي ظل منذ الازل مولود الاب إلها حقيقيا من إله حقيقى مماثل في حقيقته للاب) ويرى « كينج » أن هذا الكلام ينبغى أن يوضع في عبارات تتناسب مع الجو العقلى لعصرنا... ثم يقول : إن العبارات القديمة التي تصف المسيح بأنه كان موجودا منذ الازل مع الله كان مقصودا منها أن تعبر عن دعوة الله تعالى التي اظهرها بواسطة المسيح».

وفي سنه ٤٥١م هذبت أحد المجالس المسيحية العقيدة السالفة الذكر بقولهم : ان المسيح له طبيعتان : إلهية وبشرية امتزجتا في شخص الثالوث بغير تبديل ولاتغيير.

ويرى « كينج » تعقيبا على العبارة السالفة أن نقول : أن عيسى- عليه

١- ومن قبل في سنة١٩٢١ اجتمع عدد كبير من رجال الدين المسيحى في (اكسفورد) ورأس الاجتماع الدكتور (راشدل) اسقف كارليل الذى أذهل خطبا به العالم المسيحى لانه ذكر أن قراءته للكتاب المقدس لاتجعله يعتقد أن عيسى إله بل هو انسان بكل مايحتمله هذا اللفظ من معان راجع دراسات اسلاميه في العقائد والاديان د/ محمد جابر الحسينى ص ٢٤٩.

السلام- لم يعلن نفسه الابن الأزلي لله، ولا كان هذا هو اعتقاد النصارى الأوائل).

ب- وفي انجلترا- انزعجت الكنيسة الانجليزية- في العام الماضي- أي عام ١٩٧٨م- عندما اصدر سبعة من علماء اللاهوت الجامعيين كتابا قالوا فيه (إن عيسى لم يكن في الحقيقة إلها البته).

جـ- وفي الولايات المتحدة الامريكية- قال العالم اللاهوتي (آلي) رئيس قسم الديانه في احدى الجامعات الأمريكية في اجتماع لبعض الملحدين : إن عيسى لم يدع ابدا أنه اله، ولا زعم انه ابن الله)

واثر هذا التصريح حول (آلي) إلى قسم آخر من أقسام الجامعة.

د- وفي فرنسا يقول (جاك بوير) : انه من غير المعقول ان الله جعل نفسه انسانا) ويقول : إنه تحرر من وثنية عبادة عيسى الذى لم يدع انه الغاية ولا انه المطلق.

هـ- وفي أسبانيا- قال (جوز ريمون) مدير معهد مدريد للدراسات المسيحية : (ان عيسى كان رجلا اختاره الله وآرسله)[١]

وهكذا تنطلق آلسنة اللاهوتين وعلماء النصارى المعاصرين بالحق وتشهد بان عيسى - عليه السلام- ليس إلها وانما هو بشر اختاره الله وأرسله ليدعو إلى عباده الله وحده.

فهل يعود غيرهم إلى الحق ام سيظلوا على الباطل غارقين ضالين؟

ثالثا تصرص أنا جيلهم المحرفة تكذب ادعائم آلوهية المسيح حتى ان النصوص التى حرفوها بايديهم تكذب ادعائهم الباطل والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال.

١- مراجع عقيدة التوحيدة في الرسالات السماوية أ.د/ رشدى عزيز ص ١٥٩- ١٦٢ نقلا عن المجلة المذكورة.

أ- نسب المسيح فى انجيل (متى) وانجيل(لوقا) فهذا النسب المفترى رغم الاختلاف بين الانجليين فى الاسماء والعدد تجدهم لم يذكورا النسب الصحيح للمسيح بل هو فى الحقيقة نسب آخر حيث انهم تركوا نسب المسيح واتوا بنسب يوسف النجار الذى هو عندهم ربيب إلههم زوج أمه، فكيف يقولون فى اناجيلهم (مصحف نسب المسيح) ثم يأتون بنسب يوسف النجار، والمسيح ليس ولد يوسف، ولا مدخل للمسيح فى هذا النسب أصلا الا أن يجعلوه ولد يوسف- والعياذ بالله-

ثم انهم كيف يدعون الوهيته- عليه السلام- ثم يأتون له بنسب فهل للإله نسب فإما أن يكذب اناجيلهم، وإما أن يكون المسيح ولد يوسف- وعندها لايكون ابنا لله وعلى كلا الامرين تنتفى الألوهية عن عيسى - عليه السلام-

ب- ماذكروه من قيادة إبليس له حيث ذكروا فى اناجيلهم : أن ابليس قادة إلى جبل منيف عال، وعرض عليه ملك جميع الدنيا، وقال له : سأملكك هذا السلطان فإن سجدت لى كان لك أجمع..)

فكيف بإله أو ابن للاله بزعمهم ينقاد وراء الشيطان، ويصير تحت حكمه، وكيف يطمع ابليس فى أن يسجد له خالقه، وفى أن يعبده ربه، وأن يخضع له.

ثم كيف يمنى ابليس رب الدنيا وخالقها ومالكها وإلهه أن يملكه زينة الدنيا فإن قالوا: انما دعا الناسوت وحده، قلنا: فإن اللاهوت والناسوت عندكم متحدان- بمعنى انهما صارا شيئا واحدا- والمسيح عندكم إله معبود وقد قلتم هاهنا إن ابليس قاد المسيح ، ودعاه ابليس إلى عبادته والسجود له، ومناه بملك الدنيا.. وعلى قولكم: إنما خاطب الناسوت إنما دعا نصف المسيح... فقد كذب هؤلاء على كل حال ويوجب ان إبليس انما دعا اللاهوت لانه قال له: إن كنت ابن الله فافعل كذا... ولو لم يكن فى اناجيلهم الا هذا الفصل لكفى ليس فى نفى الالوهية فقط، بل الانحطاط بالههم والوصول به إلى هذه المرحلة.[1]

١- حول هذه التناقضات وغيرها راجع الفصل فى الإهواء والملل والنحل / ابن حزم جـ٢/ ١٠-١٥ بتصرف ف ط مكتبة السلام.

جـ- ماذكروه من اتحاد الالهه وعقيده التثليث باطل لايوافقه عقل ولا يقبله أي عاقل فلا يتأتى أن يكون الثلاثة واحد، ولا الواحد ثلاثة.

وإذا كان الثلاثة فى اتحاد دائم لاينفكون عنه إذا فساعة أن صلب المسيح فإن الصلب يقع على الألهة الثلاثة، وليس على واحد فقط، وذلك من أجل الاتحاد وإذا كان الصلب قد وقع على الثلاثة إذا يبطل أن يكونوا الهه، وبذلك تبطل هذه العقيدة ولايصح الايمان بها، والا فكيف يعبد الانسان إلها قد صلبه بنفسه هذا فضلا عما ذكروه فى اناجيلهم مايخالف عقيده اتحاد الاقانيم الثلاثة حيث ذكروا من النصوص مايدل على التغاير بينها فقد جاء فى انجيل « لوقا » الاصحاح الثانى عشر « من قال كلمه على ابن الانسان يغفر له ، ومن سب (جدف) روح القدس لايغفر له)

فهذا النص دليل صريح على ابطال دعوى الاتحاد، فقد أوضح النص ان كل من الابن وروح القدس مغاير للأخر فأحدهما يغفر لمن سبه، والاخر لايغفر لمن سبه فإن كان المسيح هو ابن الانسان فليس هو روح القدس بنص كلامهم، وان كان روح القدس فليس هو ابن الانسان كذلك ،ولئن كان هو روح القدس فقد كذب انجيلهم، وكذب المسيح إذ فرق بينهما فجعل أحدهما يغفر والآخر لايغفر[1] إذن فطبيعة كل منهما مغايره للأخر، وإذا كان كل منهما مغايرا للأخر فهو مغاير للأب أيضا، وبذلك تبطل دعوى الاتحاد بالنص والعقل معا.

يقول ابن حزم تعقيبا على تناقض اناجيلهم: فهذه سبعون فصلا فى اناجيلهم من كذب بحت ومناقضه لا حيلة فيها، ومنها فصول يجمع الفصل منها ثلاث كذبات فأقل على قله مقدار اناجيلهم، وجملة أمرهم فى المسيح- عليه السلام- انه مره ابن الله ، ومره هو ابن يوسف النجار وابن داود وابن الانسان ومره هو إله يخلق ويرزق، ومره هو خروف الله، ومره هو فى الله، والله فيه ومره هو فى تلاميذه وتلاميذه فيه.... ومره هو نبى وغلام لله.

١- الفصل فى الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم جـ ٢ /٥٢.

ومره أسلمه الله إلى أعدائه، ومره قد انعزل الله له عن الملك..

ومره يجوع ويطلب مايأكل ، ويعطش ويشرب، ويعرق من الخوف، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها نبتا يأكله، ويفشل فيركب حماره، ويؤخذ ويلطم وجهه، ويضرب رأسه بالقصبه.... ويضرب ظهره بالسياط، وعبثه الشرط ويتمهكون به، ويسقى الخل فى الحنظل ويصلب... وهم قد اقتصروا فى دينهم من هذا كله على انه إله معبود فقط وهم ينفون من إله مع الله واناجيلهم وأماناتهم توجب أن المسيح إله غير الله، بل يقعد عن يمين الله، وانه أكبر منه، وهو يخلق ، ويحي كما يحي،والضروره توجب انهم قائلون بإلهيته ولابد متغايرين ونعوذ بالله من الخذلان[١])، وإذا كانت هذه هى عقيدتهم فى المسيح كما تصوره اناجيلهم فما هو موقف القرآن الكريم من عقيده تأليه المسيح؟

القران وعقيدة تأليه المسيح

أما موقف القرآن الكريم – الكتاب الحق والمهيمن على الكتب السابقة- فواضح حول هذه العقيدة فلقد أبطل مايدعيه هؤلاء النصارى من ألوهية المسيح- عليه السلام – وأوضحت آياته الكثيرة آن هذه الألوهية المزعومة خرافه لانصيب لها من الحق، ولا أساس لها من الصحة، ووضعت هذه الآيات حداً للخلافات التى كانت قائمة حول ماهية عيسى- عليه السلام- وشخصيته بين اليهود والنصارى، وهيأت الطريق أمام غلاة النصارى ليرجعوا عن غلوهم، وفتحت لهم باب الهداية على مصرعيه ليسرعوا فى تقبل دعوة الاسلام حتى يخلصوا مما هم فيه من شكوك وخلافات ومنازعات وفى سبيل الوصول إلى ذلك سلك القرآن الكريم طرقا شتى تتمثل فيما يلى:

أولا – أبطل القرآن الكريم مايتمسك به النصارى من شبهات حول ألوهية المسيح ولما

١- الفصل فى الملل الأهواء والنحل / ابن حزم جـ٢/٥٩.

كانت شبهتهم قائمة على إنه خلق على غير السنة العامة فى خلق البشر حيث ولد من غير نطفه رجل،وانه أتى أعمالا غريبه لاتصدر عن عامة البشر فقد جاء القرآن الكريم بابطال كلتا الشبهتين.

أ- أما عن الشبهه الاولى(ولادته من عذارء) فقد بين القرآن الكريم انها لاتدل على آلوهيـة لان الله هو المالك للكون كله الخالق له حسب مشيئته وارادته(يخلق مايشاء)(١) بأى شكل وبأى طريق شاء، فقد يخلق بعض الاحياء من ماده لاتوصف بذكوره ولابأنوثه كأصول أنواع الحيوانات، ومنها أبو البشر(آدم) وقد يخلق بعضها من ذكر فقط،أو انثى فقط، وقد يخلق بعضها من ذكر وأنثى، ولايدل شكل الخلق ولا طريقته أو سببه على آلوهية المخلوق أو حلول الاله فيه كما يزعم النصارى فى «عيسى»- عليه السلام-

ومما يدل على أن قوله تعالى(يخلق مايشاء) نص فى إبطال شبهتهم انها جاءت فى سياق الحكم بكفرهم لقولهم بألوهية المسيح، وبيان انه مملوك لله لايستطيع أن يدفع عن نفسه وأمه الهلاك ولا يستطيع غيره أن يدفعه عنهما إن أراد الله انزاله بهما، قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السماوات ولاارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير)(٢)

فولاده عيسى- عليه السلام- من عذراء لاتدل على آلوهيته أو بنوته لله، ومثل هذه الولاده ليس خارجا عن نطاق قدرة الله سبحانه، كما انه لايوجب مطلقا نسبة هذا الولد إلى الله الذى خلق آدم من غير أب ولاأم، ووهب إسحاق لابراهيم وهو وساره شيخان كبيران، واعطى زكريا يحي وهو شيخ كبير وامراته عاقم فأى غرابه إذن فى أن يخلق عيسى-عليه السلام-من ام بلا أب وقد قال سبحانه [إن مثل عيسى عند الله

١ - ٢- سورة المائدة أيه (١٧).

كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] (١)

هذا وقد إلتمس بعض العلماء الحكمة فى هذا الميلاد بهذه الكيفية فى أمرين

أولاهما- إنها كانت بمثابة إعلان واعلام عن قدرة الله تعالى ، وانه الفاعل المختار المريد وانه سبحانه فى ايجاده لايتقيد بقانون السببيه الذى نظمه هو، وسير العالم على أساسه، وذلك لانه هو الذى خلقه وأبدعه فلا يخضع له ولا يجرى عليه قانونه، وذلك ان الاشياء لاتصدر عن الله تعالى كما يصدر المعلول عن علته العمياء أو الصماء بل هو فاعل بالارادة المطلقة التى لايقيدها شئ مهما كان وخلق عيسى- عليه السلام- على هذه الكيفية اعلان لهذه الارادة الالهية، كما هو إعلان للقدرة الالهيـة بين هؤلاء اليهود الذين غلبت عليهم الماده، وسار فى عصرهم فلسفة أساسها ان خلق الكون من مصدره الاول كالعله من المعلول فكان ميلاد - عيسى عليه السلام- آيه لله على انه تعالى لايتقيد بالاسباب، وأن العالم صدر عن ارادته الألهيه، ولم يكن كصدور العله عن معلولها(٢).

ثانياً - فكانت ولادة المسيح بدون أب اعلاناً لعالم الروح بين اليهود الذين كانوا ينكرون عالم الروح، فقد قيل عنهم انهم زعموا ان الانسان جسم لاروح فيه، ولايقرون انه جسم وروح، فذلك الايجاد فى حد ذاته كان اعلانا لعالم الروح بين قوم ينكرونها،. وكأن قارعة قرعت حسهم ليدركوا أو ليعلموا أن هناك ماهو اسمى من الجسم وهو الروح وهذه أيه من آيات الله فى عيسى وأمه- عليهما السلام-(٣)

ومما يقال إلتماساً للحكمة فى ذلك ايضا ان خلق عيسى - عليه السلام- بدون أب كان الحلقة الأخيرة فى سلسلة القسمة العقلية التى تثبت أن الله وحده هو الخالق،

١- سورة آل عمران أيه (٥٩) ٢- محاضرات النصرانية/ط١٦.

٣- الاسلام والنصرانية الشيخ محمد عبده ص ١٧.

وان سواه مما يتوهمه الماديون أسباب حقيقية فى الخلق ليسوا إلا أسبابا عادية يمكن تخلفها . فالله وحده هو المنفرد بالخلق، فقد خلق سبحانه آدم بدون أب وأم، وخلق عامه خلقه من أب وأم ،وخلق حواء بدون أم فكان لابد من مخلوق بدون أب لتكتمل القسمة العقلية فكان المسيح- عليه السلام- بدون اب.

وإذا كان ميلاد عيسى- عليه السلام- بدون أب مثار لتسأول أو عجب فإن ذلك يصبح مقبولا إذا قيس إلى قدرة الله القاهره، وهو على غرابته ليس أعجب من خلق السماوات والارض وماقيهما . ثم أيهما أعجب أن يوجد انسان بدون أب وأم، أم أن يوجد بدون أب فقط؟ فيكون أمر « عيسى » أقرب إلى التعقل الخالص من أمره « آدم» عليه السلام- ولعل ذلك ماترشد اليه الأية الكريمة(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[١] لأن المسيح صادر عن غير سبيل التوالد الطبيعي الناشيء عن لقاء زوجين، وبكلمة « كن، أطلق عليه كلمة الله ، ليرد بها على اليهود الذين وصفوا أمه بالسفاح كما قال سبحانه (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما)[٢] فكأنه يريد أن يقول لهم: انه خلق بكلمة منى فلم يحتج إلى وآلد وكما أن ميلاد «عيسى»-عليه السلام- بدون أب ليس مدعاة للطعن على أمه الصديقه فإنه فى ذات الوقت لاينبغى أن يكون سندا للقول الشاذ بأبوة الله له أو بنوته الله تعالى هذا عن الشبه الأولى التي تمسك بها النصارى على تأليه المسيح.

أما عن الشبه الثانية- وهى كونه [عليه السلام] اتى بأعمال غريبة ومعجزات عجيبه فقد أوضح القرآن الكريم كذلك انها لاتدل على آلوهيه، لان عيسى- عليه السلام- قد أخبرهم كما حكى القرآن عنه انها من الله وحده، وبإذنه وحده كما فى سورة آل عمران(إنى قد جئتكم بأيه من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير

١- سورة آل عمران أيه (٥٩).

٢- سورة النساء آيه (١٥٦).

فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى بإذن الله، وانبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين(١)

وقد ذكر الله ذلك أيضا في معرض المنّة على عيسى- عليه السلام- حيث قال سبحانه (ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني، وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني، وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين »(٢) وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد أبطل مايتمسك به النصارى على ألوهية المسيح من ميلاده العذري ومعجزاته لأن ذلك كله تقدير العزيز العليم القادر على كل شيئ، وعلى خرق الناموس المعتاد، ومن ثم فهو(يخلق مايشاء والله علي كل شيئ قدير)(٣)

هذا، ويمكن لأى انسان أن يلاحظ أن معجزات « عيسى » -عليه السلام- معجزات طبيعيه ترتبط بالطبيعة والعمل في المحسوسات وهذا أغلبها حيث بعث -عليه السلام في زمن طبيعه الحكماء، وبما أن معجزات كل نبى تأتي بما يتناسب مع زمانه ، كانت معجزات « عيسى» - عليه السلام- على هذا المنوال الذى لا يستطيعه الحكماء ولا يهتدون إليها ، وأنى بحكيم إبراء الأكمة الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى، والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن فكان هذا اعجازاً من الله لعيسى -عليه السلام- تأييداً لدعوته ورسالته، وقد ذكرها الله في معرض الامتنان كما وضح من الأية الكريمة السابقة، فعيسى(عليه السلام- لم يأت بها من نفسه وإنما جاءت امداداً من الله الذى بعثه في زمن ينكر الروح ولايؤمن الا بالماده ويتعالى بالحكماء، فخلق

١- سورة آل عمران أيه (٤٩) ٢- سورة المائدة أية (١١٠).

٣- سورة المائدة أية (١٧).

شيئ على هيئة الطير من الطين ثم ينفخ فيه بأذن الله فيصير طيراً ويحيا بهذه الروح ويتحرك مع أنه لم يلاحظ عليه أى زيادة مادية فهذا إعلان لعالم الروح بين هؤلاء المنكرين، وكذلك إحياء الموتى الذى كان طعنه كبيرة لمن ينكر الاخرة، فالميت مادة لاروح فيها، واحياؤه يعنى عودة الروح اليه، ففيه دلاله بسيطه على امكان عودة الروح إلى الاجساد فى عالم الأخرة، وإذا كان الله قد منح عبداً من عباده القدرة على ذلك فإنه بلا شك أقدر.

وبذلك وضح لنا أن معجزات عيسى ليس فيها مايقوى الدعوى لتأليه بل انها منحه من الله لعبده تأييداً لرسالته.

ثانياً- أثبت القرآن الكريم أن عيسى- عليه السلام- ابنُ لمريم الصديقة الطاهرة ونص على ذلك فى كثير من آياته حتى تكرر وصف« عيسى» بالبنوه لمريم فى ثلاث وعشرين آية من القرآن الكريم وبذلك يلفت القرآن أنظارهم إلى بطلان عقيدتهم فيه حيث بين أنه [ابن لمريم] وليس ابنا لله كما يدعون، وفى وصف القرآن «عيسى» -عليه السلام- بذلك تنبيها على بطلان زعمهم وإيماء إلى انحطاطه عن مقام الألوهية لكونه حادثا مولودا، وحق الاله أن يكون قديما، وغضا عن رفعهم له إلى مقام الالوهية لان نسبة الرجل إلى أمه يفهم العرف العام منها أن أمره هين، كما بين القرآن الحمل به وولادته ورد اتهام العقوق له[1] وفى ذلك كله نفى لألوهيته وبيان لبشريته.

١- فعن الحمل به قال الحق سبحانه(إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) سورة آل عمران آيه (٤٦) وعن ولادته قال سبحانه (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) سورة مريم أيه (٢٣-٢٤).

وعن رد اتهام العقوق قال سبحانه(وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبار اشقيا) سورة مريم(٣٢).

ثالثا- أثبت القرآن الكريم أن عيسى - عليه السلام- عبد مملوك لله، ومربوب له، ومن المعلوم بداهة أن العبد لايكون إلاها، والمملوك لايكون مالكا، والمربوب لايكون رباً من ذلك قوله تعالى بلسان المسيح [قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً][١] وقوله في شأنه (لن يستنكف المسيح أن يكون (عبدا لله..)[٢]، [إن هو إلا عبد أنعمنا عيله وجعلناه مثلا لبني اسرائل][٣]

وهذه الأيه وإن وردت في معرض الرد على مشركي مكه حيث زعموا أن بنوة الملائكه لله اكثر سلامه في نظر العقل والمنطق من قول النصارى ببنوة المسيح لله، الا أنها بيان بحقيقه المسيح وماهيته وانه ليس إلا عبد منعما عليه من ربه، فكيف يكون العبد المنعم عليه ربا للكون وإلها للعالمين؟

رابعاً- أثبت القرآن الكريم أن مهمة عيسى في الدنيا هي النبوه والرسالة فحسب فهو رسول من عند الله أرسله لهداية بني اسرائيل شأنه شأن غيره من المرسلين، ، وقد بين القرآن الكريم ذلك في أيات كثيره منها قوله سبحانه... [ورسولا إلى بني اسرائيل][٤] وقوله بلسانه (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا)[٥][وإذا قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم][٦] وقوله سبحانه [ماالمسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كانا يأكلان الطعام][٧] كما حكى القرآن الكريم أن الله أنزل عليه كتابا مصدقا لما بين يديه، ومن المعلوم أن الرسول غير المرسل ، والمنزل عليه غير المنزل فيبطل كونه إلها على أن الآيه الأخيره قد تضمنت فوق ماتقدم- العديد من الادلة التي تبطل هذه الالوهيه المزعومه حيث ذكرت أن الرسل قد خلت من قبل المسيح، وسيخلو كما خلوا، وذلك يقتضي الا يكون إلاها، كما بينت الأيه أن أمه صديقه أي مبالغه في الصدق مع الله، أو مبالغه في التصديق بكلمات

١- سورة مريم أيه (٣٠) . ٢- سورة النساء أيه (١٧٢) ٣- سورة الزخرف أيه (٥٧)

٤- ال عمران أيه (٤٩) ٥- مريم أيه (٣٠) ٦- سورة الصف أيه (٦).

٧- سورة المائدة آية (٧٥).

ربها وكتبه، ومن كان هذا شأنها فكيف تكون جزءا في الثالوث الالهي كما يدّعون» كما يبين القرآن أن المسيح وأمه- عليهما السلام- كانا يأكلان الطعام، ومن البيّن أن الذي يأكل الطعام فيتحول في جسمه دما ولحما وعظاما وينضح عرقا ويخرج فضله لو بقيت في الجسم لأضرته، ومن الواضح أن كائنا من هذا النمط لايمكن أن يكون إلاّ بشراً خاضعا لكل قوانين البشريه التي لاتؤدي إلى نقص في مرتبته كرسول](١)

ثم تختم هذه الأيه بالتعجب من غفلة النصارى ، وجهالتهم حيث ظلوا على قولهم بألوهية المسيح بعد هذه الأيات الواضحة والبراهين الساطعة التي توضح حقيقة أمره، وذلك قوله سبحانه [انظر كيف نبين لهم الأيات ثم انظر آنى يؤفكون](٢)

خامساً -أثبت القرآن الكريم أن المسيح لايستطيع دفع الضر عن عابديه ولا جلب النفع لهم فلا يكون إلاها وذلك قوله سبحانه في سياق الانكار عليهم والتبكيت لهم على عبادته[قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ، والله هو السميع العليم](٣) أي كيف تتجاوزون عبادة ربكم إلى عبادة غيره ممن لافائدة فيه من جلب نفع أو دفع ضر، والحال ان الله هو السميع العليم بكم بأحوالكم وأعمالكم، فلا ينبغي لكم أن تدعوا غيره ولا أن تعبدوا سواه.

سادسا- نصت آيات القرآن الكثير على أن المسيح- عليه السلام- ما دعا إلا الى عبادة الله وحده وانه يبعد أن يتعدى رسول من رسل الله حدوده فيزعم أنه رب ويقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله» وفي ذلك يقول القرآن الكريم[ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن

١- التفكير الفلسفي في الاسلام/أ.د/ عبد الحليم محمود نقلا عن الاديان في القرآن/محمود ابن الشريف ص ٢١٥.

٢- سورة المائدة أية (٧٥)   ٣- سورة المائدة أية (٧٦).

كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون»[١]

قال المفسرون: إن هذه الأيات نزلت تكذيبا لمن اعتقد عبادة« عيسى» -عليه السلام- والمعنى ، ماكان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعباده وترك الانداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له)[٢]

أما الايات التي بنيت أن المسيح مادعا الا أن عبادة الله وحده فكثيرة منها قول الحق سبحانه (وقال المسيح يابني اسرائل اعبدوا الله ربي وربكم...)[٣]

وقوله(ماقلت لهم الا ماأمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم..)[٤]

سابعا- أخبر القرآن الكريم بأن المسيح -عليه السلام- حذر قومه صراحة ونفرهم من الشرك بالله وعباده غيره حيث يقول الحق سبحانه حكاية عنه (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار)[٥]

ثامنا- حكم القرآن الكريم على النصارى بالكفر الصريح لقولهم بألوهية المسيح حيث قال الحق سبحانه (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا ولله ملك السماوات والارض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شيئ قدير)[٦]

وقوله سبحانه (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يبني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم)[٧] وقوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة..)[٨] إلى غير ذلك من الايات.

١- سورة آل عمران آية (٧٩-٨٠)
٢- تفسير النسفي جـ١/١٦٦
٣- سورة المائدة آيه (٧٢)
٤- المائدة آيه (١١٧).
٥-سورة المائدة آيه(٧٢)
٦- سورة المائدة آيه(١٧)
٧- سورة المائدة آيه (٧٢).
٨- سورة المائدة (٧٣).

تاسعا- نهى القرآن الكريم النصارى عن الغلو فى الدين ودعاهم إلى الرجوع إلى خطيرة القرآن وترك عباده ماسوى الله تعالى. قال الحق سبحانه (قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)[١].(ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السماوات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا)[٢]

عاشرا- أمر الله رسوله- محمدا صلى الله عليه وسلم- أن يباهلهم ويجعل لعنة الله على الكاذب منهم إن أصروا على قولهم بألوهيته وذلك قوله سبحانه(فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع آباءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين)الأيات [٣]

يذكر الامام النسفى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب- وكان ذا رأيهم- والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمداً نبى مرسل وما باهل نبى قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم الا الف دينكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.... ولما أتوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورأوا معه أهله، وقال أسقفهم: إنى لأرى وجوها لو سألو الله أن يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الارض نصرانى، فقالوا: ياأبا القاسم رأينا ألاتباهلك. فصالحهم النبى- صلى الله عليه وسلم- على الفى حله كل سنه...[٤]

١- سورة المائدة آية (٧٧)
٢- سورة النساء آية (١٧١)
٣- سورة آل عمران آيه (٦١-٦٣)
٤- راجع تفسير النسفى جـ١/١٦٢.

وهذا دليل واضح على كذبهم فيما يدعون من ألوهية المسيح أو بنوته لله تعالى-وهكذا وضح لنا موقف القرآن الكريم الصريح من دعوى تأليه المسيح وبين بطلانها بما لايدع مجالا للشك.

مايترتب على بطلان دعوى ألوهية المسيح

وإذا كان القول بألوهية المسيح عليه السلام باطلا كما وضح بيانه فإن ذلك يستتبع مايلي:

أولا- بطلان مارتبه النصارى على قولهم انه هو الذى (اتقن العوالم بيده) وقولهم (به كان كل شيئ وبغيره لم يكن شيئ» وثبت أن الخالق للعوالم كلها هو الله رب العالمين، وذلك مانطقت به آيات القرآن (ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيئ فاعبده وهو على كل شيئ وكيل)[١]

ثانيا- بطلان قولهم انه هو الذى (سيدين ويحاسب الناس يوم القيامة) لانه تقرر أن « عيسى» عليه السلام- واحد من هؤلاء الناس وسيحاسب هو الأخر كما يحاسبون بين يدى الله رب العالمين، وذلك هو الحق الذى نطقت به آيات القرآن الكريم التى تفيد أن الله هو المالك وحده ليوم القيامة، وانه وحده هو الذى يفصل بين الناس فيه ، ومن جملة هؤلاء الناس« عيسى» كقوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة)[٢] وقوله « مالك يوم الدين»[٣] وقوله « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار[٤] وقوله « إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون[٥] إلى غير ذلك من الإيات الكثيرة التى تفيد أن الله وحده هو الذى سيتولى محاسبة الناس يوم القيامة- بما فيهم المسيح ابن مريم- على ماأسلفوا فى دنياهم من خير أو شر.

١- سورة الانعام آية (١٠٢)   ٢- سورة الحج آيه (١٧)   ٣- سورة الفاتحةآية(٤)

٤- سورة غافر آيه (١٦)   ٥- سورة آل عمران آيه (٥٥).

فهل آن الأوان إلى أن يعود هؤلاء النصارى إلى رشدهم ويبتعدوا عن غيهم وضلالهم ويأتوا إلى كلمة سواء بيننا وبينهم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا كما قال الحق سبحانه (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون[١]» صدق الله العظيم.

نسأل الله العظيم أن يجعلنا من عباده الموحدين له حق التوحيد الخالص.وان يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم- آمين يارب العالمين- وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

دكتور
محمد محمد يحيى
مدرس الدعوة والثقافة الاسلامية
بالكلية

١- سورة آل عمران آيه (٤٦)